اسم الدرس : تفسير سورة سبأ (٢) | الآيات [٩ : ١٥]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم -:

بإذن الله –عزَّ وجلَّ– سنُكمِل تفسير سورة سبأ، كُنا توقفنا عند قول الله –عزَّ وجلَّ–: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ * أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ} [سبأ:١٠-١١]. في المرة السابقة تكلمنا في الجزء الأول من سورة سبأ عن الحال الذي نزلت فيه السورة، وأنَّ أهل الباطل يملكون المال والعُدَّة والعتاد، ونُكرر أنَّ هذا أحيانًا يؤدي إلى هزيمة نفسية عند الإنسان، *هذه النقطة الأولى.

*النقطة الثانية: كل قصة في القرآن –عندما تأتي في سورة– لها علاقة بحال السورة، والمعنى أنَّه لماذا رَبُّنا –سبحانه وتعالى– ذكر هُنا قصة سيدنا داود وسيدنا سليمان في هذا المكان من السورة؟ بالتأكيد لها دلالة!

–كما ذكرنا ونحن نشرح سورة الأنعام، قُلنا لماذا المقطع الخاص بسيدنا إبراهيم عندما قال: {وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ} [الأنعام: ٧٥] ، هذا الجزء من قصة سيدنا إبراهيم لم يأتِ في القرآن غير في سورة الأنعام، قُلنا لماذا جاء هذا الجزء تحديدًا من هذه القصة في هذه السورة على وجه الخصوص؟ فكذلك هُنا في هذا الجزء والتفصيل الخاص {وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ}، ومع سيدنا سليمان {مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ} [سبأ: ١٣]، وقصة النهاية في لحظة {فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ} [سبأ:١٤] لماذا هذا المقطع تحديدًا جاء في سورة سبأ؟ هذا له دلالة.

* القرآن مُعْجِز، الكلام ليس اعتباطيًا هكذا! حاشاه –سبحانه وتعالى–، ليست آيات متتالية، فتأتي أي قصة وبعدها أي موضوع، أبدًا! الكلام مُعْجِز ومترابط بعضه ببعض، فلو أنَّك سمعت شخصًا يقول كلمة وشعرت أنَّ نصف الكلام غير مرتبط بآخره، تقول ما هذا؟! لمَ الكلام غير مرتبط ببعضه! فما بالك بكلام الملك سبحانه وتعالى؟!

حسنًا، نريد أن نعرف ونحن ندرس دلالة الآيات، لماذا هذه القصة، أولًا؛ نريد أن نعرف معاني الآيات، ثم: لماذا وردت هذه القصة في وسط هذه السورة؟ {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ} [سبأ:١٠-١١] يقول الله –عزَّ وجلَّ– أنَّ فضله عزَّ وجلَّ عظيم.

كما قلنا إنَّ السورة بدأت بأهل الباطل في الصفحة التي قبلها {وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ} [سبأ: ٥] ماذا يفعل أهل الباطل؟ {سَعَوۡ} ليس مشيًا، أي أنَّ أهل الباطل يفعلون ما في وسعهم، لماذا؟ {سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا} أي في آيات الوحي {مُعَٰجِزِينَ} يريدون أن يُظْهِروا أنَّ آيات الوحي عاجزة، يُراد دائمًا أن يُظهرَ القرآن عاجزًا.

- انتبه! {سَعَوۡ} لكن أين؟ -أريدكم أن تنتبهوا للمعنى- ﴿سَعَوۡ﴾ أين؟ ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي أنَّه يعلم أنَّ مصدر قوَّتك ليس في المال، ويعلم أنَّ مصدر قوَّتك ليست العُدَّة والعتاد، يعلم أنَّ مصدر قوَّتك في القرآن، في آيات الوحي، لذلك عندما يريد أن يطعنك؛ يطعنك في آيات الوحي، يعلم أنَّ الأموال هي دورات تمكين تذهب وتأتي والحرب سجال، لكنه عندما يريد أن يطعن في شيء لكي يهدم الدين، يطعن فيه، لذلك أغلب الشبهات الآن -حملة الشبهات الشرسة- تجدها تُركِّز على القرآن والسنة، يعلم أنَّ هذا هو سر القوة، ولو استطاع أن يفصل الناس عن القرآن والسنة، هو بذلك نجح في هزيمة المسلمين.

_ حسناً، في ظل هذا الحال من الممكن أن يعتقد الناس -المسلمون المستضعفون- معتقدًا، أنَّ الذي ينقصنا هو شيء واحد لكي ننتصر، ينقصنا القوة والعتاد، لذلك سيدنا عمر عندما جلس -وكان مع الصحابة- قال لهم: تَمَنَّوْا، فقال واحد: أتمنى ملء هذه الغرفة مالًا أُنفقه، وقال آخر: أتمنى ملء هذه الغرفة فرسًا يجاهدون في سبيل الله، سيدنا عمر قال: أما أنا فأتمنى ملء هذه الغرفة، رجالًا، أنا أريد رجالًا! **رجالًا تربوا على القرآن. قضية المال أنَّه يذهب ويأتي، والعُدَّة والعتاد تذهب وتأتي، أهم شيء أنَّ هناك رجال.**

فيقول الله إنَّه -عزَّ وجلَّ- فضله واسع لطالما أعطى، كما أعطى لسيدنا داود فمن الممكن أن يعطيك يا رسول الله ﷺ، ليست هذه هي القضية إذًا! وكما أعطى لسيدنا سليمان ريحًا كان من الممكن أن يعطي للنبي ﷺ ريحًا، أليس النبي ﷺ أفضل الخلق وأفضل الأنبياء ﷺ ؟ -صلُّوا على النبي ﷺ- النبي ﷺ أفضل الأنبياء، فيقول الله له: أنا أعطيت داود ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾[سبأ:١٠] لقد ألنت له الحديد، وأعطيت لسليمان الريح، فكان من الممكن أن أعطي محمدًا ﷺ ذلك، لكن القضية ليست في هذه! فحذارِ يا مسلمين أن تعتقدوا أنَّ الإشكالية الأساسية في المال.

- فيقول الله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ﴾ [سبأ:١٠] سيدنا داود له خصيصة عن بقية الأنبياء، سيدنا داود عندما خلق الله -عزَّ وجلَّ- سيدنا آدم ومسح على ظهره، أخرج من ظهر سيدنا آدم كل الذرية التي ستُخْلَق إلى يوم القيامة -هذا الذي يسمونه عالم الذَّر- مسح الله على ظهر سيدنا آدم، وخلق من ظهر سيدنا آدم كل الذرية التي ستُخْلَق إلى يوم القيامة، سيدنا آدم نظر للذرية كلها، فوجد رجلًا في وجهه بصيصًا من نور، وجد شخصًا في وجهه نور، تخيَّل مليارات البشر سيدنا آدم ينظر إليها يُلْفِته من وسطها -لو أنك جالس في مسجد وأمامك مائة شخص، من الممكن ألا تجد شيئًا مميزًا في المائة- تخيَّل يكون أمامك مليارات من البشر، ويُلْفت انتباهك أنَّ واحدًا منهم في وجهه نورًا! فقال: أي ربِّ من هذا؟ أي: سيدنا آدم يقول لله: مَن هذا يا رب؟ مَن هذا الذي من ذريتي يا رب؟ قال: عبدي داود، يأتي في آخر الزمان -طبعًا سيدنا داود في آخر الزمان بالنسبة لسيدنا آدم- وهذا البصيص بسبب العبادة، فقال سيدنا آدم لربنا -سبحانه وتعالى-: أي ربِّ أعطه من عمري أربعين سنة، أعطِ له يا رب من عمري أربعين سنة. حديث طويل والقصة مشهورة.[1]

*الشاهد أنَّ سيدنا داود متخصص في العبادة، لذلك عندما قال النبي ﷺ: (أفضل الصيام)[2] صيام مَن؟ داود، (أفضل القيام) قيام مَن؟ داود (وكان داود يأكل من عمل يده)، وحديث في البخاري يقول النبي ﷺ: (لقد خُفِّفَ على داود القرآن -القرآن الخاص به هو الزبور- حتى إنه ليأمر أن تُسْرَج

---

[1] - لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدمَ مَسحَ علَى ظَهرِهِ فسقَطَ من ظَهرِهِ كلُّ نسَمةٍ هوَ خالقُها من ذرِّيَّتِهِ إلى يومِ القيامةِ وجعلَ بينَ عينَي كلِّ إنسانٍ منْهم وبيصًا من نورٍ ثمَّ عرضَهم على آدمَ فقالَ أي ربِّ مَن هؤلاءِ قالَ هؤلاءِ ذرِّيَّتُكَ فرأى رجلًا منْهم فأعجبَهُ وبيصُ ما بين عينيْهِ أي ربِّ مَن هذا قالَ هذا رجُلٌ مِن آخرِ الأُمَمِ مِن ذرِّيتِكَ يقالُ لَهُ داودُ قالَ ربِّ كَم عمرَهُ قالَ ستُّونَ سنَةً قالَ أي ربِّ زِدهُ من عُمُري أربعينَ سنَةً فلمَّا انقَضى عُمُرَ آدمَ جاءَ ملكُ الموتِ قالَ أولم يَبقَ من عُمُري أربعونَ سنةً قالَ أولَم تُعطِها ابنَكَ داودُ فقالَ فجَحدَ فجَحَدَتْ ذريَّتُهُ ونسِيَ آدَمُ فنسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ وخطِئَ آدمُ فخطِئَتْ ذريَّتُهُ.

الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: شرح الطحاوية | الصفحة أو الرقم: ٢٤٠ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه الترمذي (٣٠٧٦)، والبزار (٨٨٩٢)، وأبو يعلى (٦٦٥٤)

[2] أفضلُ الصِّيامِ صيامُ داودَ، كانَ يصومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا.

الراوي: عبدالله بن عمرو | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم: ٢٣٨٧ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه البخاري (٣٤٢٠) باختلاف يسير، ومسلم (١١٥٩) بنحوه، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٢٦٩٦) واللفظ له

الدَّواب)[٣]؛ أي أنَّ سيدنا داود يقول جهزوا لي الدواب، تُسْرَج أي: يوضع عليها الفرش لكي يركب، يقول للخدم جهزوا لي الدواب، فيقرأ القرآن كاملًا حتى تُسْرَج له الدَّواب! في وقت تجهيز الدواب يقرأ الزبور كاملًا، وهذه الطاعة تُخفف عليه، ودائمًا الذي يمارس الطاعة يجد الطاعة عليه خفيفة، الذي يمارس قيام الليل[٤] يوميًا الطاعة عليه خفيفة، الذي يقرأ القرآن كثيرًا يجد القرآن عليه يسيرًا، الذي يحافظ على حفظ القرآن يُيسر له، الطاعة في البداية تكون صعبة، عندما تمارسها فالله يكافئ جهدك وييسر لك الطاعة، مثلما تريد أن تستيقظ وتحاول لصلاة الفجر تجد نفسك مُتعبًا، بعد ذلك أصبحت تستيقظ تلقائيًا بدون مُنَبِّه، ما سبب ذلك؟ أنَّ الله ييسر عليك الطاعة؛ لأنك جاهدت نفسك عليها.

* فيقول الله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠] انظر عطايا الطائعين عندما يعطي الله –سبحانه وتعالى– العطايا للطائعين، يقول الله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠] أشد المخلوقات قسوة وقوة هي الجبال والحديد، ربنا جعل الجبال تُسَبِّح مع داود، وألان له الحديد.

هناك نقطة مهمة جدًا: أنَّ الذي يعمل لدين الله –عزَّ وجلَّ– وخاصةً الشخص الذي يريد أن يجاهد أو يتحرك في سبيل الله معتقدًا أنَّه لا يوجد وقت للعبادة، لكن هُنا يقول الله لك: احذر أن تنسى العبادة في وسط الحركة للدين! لأن العبادة هي التي تيسر لك، العبادة تجعل الشيء المعَسَّر سهلًا، العبادة جعلت الجبال تُسَبِّح وألانت له الحديد.

فكثير من الناس يقول لك: أنا مشغول، أنا أوزِّع طعامًا على الفقراء، أو ينطلق شخص يجاهد في سبيل الله، لا يوجد وقت للقيام، لا يوجد وقت للتسبيح، ليس عندي وقت، سيدنا داود كان ملكًا، ليست وظيفة عادية! كان ملكًا، وكان نبيًّا من الأنبياء، لكنه كان يُسَبِّح الله يوميًا، يجلس وقتا طويلًا يُسَبِّح ويقرأ الزبور، ومن شدة إتقانه وإخلاص سيدنا داود في التسبيح كان الله يجعل الجبال تُسبَّح، منظر

[٣] خُفِّفَ علَى دَاوُدَ عليه السَّلَامُ القُرْآنُ، فكانَ يَأْمُرُ بدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلَا يَأْكُلُ إلَّا مِن عَمَلِ يَدِهِ..

الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٣٤١٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

مبهر! عندما تتخيل سيدنا داود جالسًا يقول: سبحان الله! فالجبال والطير يقولون معه سبحان الله! يرددون معه! الكون كله متناغم مع سيدنا داود.

- فإذًا فليحذر كل شخص يتحرك لدين الله يقول: ليس لدي وقت للعبادة، لا! العبادة جزء مهم جدًا وخاصةً للعامل لدين الله. بالعكس كلما زاد العمل لنُصرة الدين؛ كلما وجب أن تزيد العبادة! يقول الله :﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] أنت محتاج أن تقوم الليل، لذلك قال له: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا * نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا * أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل ٢-٤] لماذا الفترة الطويلة هذه؟ لماذا يقوم النبي ﷺ الليل كله إلا قليلًا؟ لماذا؟ ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، الأعباء المطلوبة منك ثقيلة، فطالما الأعباء ثقيلة، إذًا يجب أن تكون العبادة ثقيلة وأن تزيد فيها.

فربُّنا -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿يَٰجِبَالُ﴾ [سبأ ١٠] الله -عزَّ وجلَّ- يأمر الجبال: ﴿أَوِّبِي﴾ [سبأ١٠] الكون كونه -سبحانه وتعالى-.

- تخيَّل المسلم -أنا أريدك أن تعيش الآيات- مسلمًا في مكة مُستضعفًا، ويرى قريشًا معها المال ومعها العُدَّة والعتاد وهو ليس معه أي شيء! ويسمع الله في القرآن يقول: {يَٰجِبَالُ أَوِّبِي}، الله -عزَّ وجل- يأمر الجبال، فالمسلم يزداد عزَّةً ويعرف أنَّ الإله الذي يعبده يأمر الجبال، فتطيع الجبال، والله -عزَّ وجل- قادر أن يُسقط عليهم الجبال -الجبال التي حوله في مكة-.

المسلم المستضعف -الصحابي- جالس في مكة مع أنَّه يُؤذى ويُضرب ينظر إلى الجبال في مكة يقول في نفسه: الله تعالى قال للجبال: {يَٰجِبَالُ أَوِّبِي} فأوَّبت الجبال، فيزداد المسلم عزَّةً ويوقن أنَّ الله -عزَّ وجل- قادر على كل شيء، {ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ}(سورة محمد:٤) ، {يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ}(سبأ:١٠).

- عندما بذل سيدنا داود وقتًا في الطاعة والعبادة لله -سبحانه وتعالى-، يسَّر له الله-عزَّ وجل- نصرة الدين؛ بأن جعل الحديد لينًا في يده، هذه معجزة لسيدنا داود أنَّه كان يستطيع أن يثني الحديد كما تتعامل أنت مع قطعة العجين! أنت تستطيع أن تُحضر عجينة وتقوم بتشكيلها مثل الصلصال، الله -سبحانه وتعالى- وهب قوة لسيدنا داود بأن جعله يُشكِّل الحديد مثل العجينة، فيصنع ترسًا والحديد ما زال قويًّا!

{وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ}

ولكن لماذا الحديد؟ أين ذُكر في القرآن؟ في أي سورة؟ سورة الحديد، وهناك آية في سورة الحديد ذُكر فيها الحديد، ما هي؟

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ}(سورة الحديد:٢٥) فيه ماذا؟ ما فائدة الحديد؟ شيآن:-

- فيه بأسٌ شديد أي: للقتال في سبيل الله ،وهذا رقم واحد الجهاد أولاً {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ}
- ثم {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ}(الحديد:٢٥)

* أي أنَّ الله عزَّ وجل لا يحتاج إلى نُصرتك لدينه، بل أنت مَنْ تحتاج إلى الله، لماذا؟ ختام الآية {قوي عزيز}، أنت الذي تحتاج، لكن الله -عزَّ وجل- قوي، الله -عزَّ وجل- قادر على أن يفعل ما يشاء -سبحانه وتعالى- لكن هذا ابتلاء، لماذا؟

- {وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ}(الحديد:٢٥)

فهُنا يقول الله لسيدنا داود: أنا ألنت لك الحديد حتى تستعمل هذه النعمة لنصرة الدين؛ لذلك ماذا قال الله له بعدها؟ {أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ} (سبأ:١١) ماذا تعني (أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ)؟ السابغات؛ الدروع، عندما كانوا يذهبون للقتال في سبيل الله، كانوا يُؤذَون، ويُضرَبون، ويموتون، فقال له اعمل صدورًا واقيةً من الحديد، تُسمَّى سابغات، كان قبل ذلك عند الجهاد، يصنع سيدنا داود صفيحة يُمسك بها في يده، فكان من الممكن أن يأتيه السهم من جانبه، وعندما ألان له الله عزَّ وجل-الحديد، جعله يصنع حديدًا على مقاس الجسم تمامًا؛ لذلك كلمة سابغات تعني تغطية الجسم كله، حتى إذا جاء سهم أو رمح في أي مكان، يأتي في الحديد فلا يموت الإنسان.

لكن ماذا تعني (وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ) (سبأ:١١)؟ قال الله له: (وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ) ؛ بأن يضع المسامير في حِلق معينة أو كما تقوم بحياكة قماشًا في قطعة قماش أخرى، سيدنا داود كان لديه القدرة أن يربط قطعة الحديد بقطعة الحديد؛ حتى لا يبقى مكان فارغ، { قَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ} أي: اجعلها متناسقة السرد، كمن يقول لك يسرد الحديث سردًا، ماذا تعني يسرد الحديث؟ أي: عنده القدرة أن يقول الكلام متصلًا

ببعضه لا يقطع في الكلام، ولكنه يسرد، يقول لك فلان يسرد الحديث سردًا، أي: عندما تجلس تسمع كلامه تجده متسلسلًا مترابطًا، فكلمة (قَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ) أي يقول له الله عزَّ وجل اضبط هذا الأمر.

- هذا يعلمك الإتقان؛ إذا هممت بعمل شيء لدين الله، فلا تقول: لا، لا يلزم الإتقان، فهي لله، بل عندما تفعل شيئًا لدين الله يجب أن يكون فيه إتقان سواء كنت ستُصلي، ستدعو، أو ستُعطي، يجب أن تبذل فيه وتكون إنسانًا متقنًا، ربنا – سبحانه وتعالى– يأمر سيدنا داود أن يكون متقنًا في عمل الدروع التي سيستعملها لنصرة الدين، فيقول له يجب أن تضبطها جيدًا، {وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ} وتضع الحديد بجانب بعضه، ويغطي الجسم كاملًا من كل جانب، وكأن هناك قطعة حديد وهُنا قطعة حديد، وسيقوم بحياكتهم وربطهم ببعضهم البعض، فلا تكون مُفككة؛ حتى لا يأتي المجاهد يتحرك فتنفك عنه أو تكون هناك أماكن فارغة.

– أن يتكلم القرآن في تفصيلة صغيرة مثل هذه، إذًا هذه النقطة مهمة، الإتقان في أدوات الجهاد هذه نقطة مهمة، الإتقان في إعداد أدوات الجهاد هذه نقطة مهمة.

{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}(الأنفال :٦٠).

إذًا يأمر الله – سبحانه وتعالى– سيدنا داود لأنَّه أعطاه نعمة سيسأله عنها، وهذه نقطة مهمة جدًا؛ الذي أُوتي فصاحة أو خطابة أو أوتي مالًا، هو معتقد أنَّه يتنقّل وهو يعطي للدين، **لا، بل ربك قد أعطاك النعمة وسيسألك عنها، أنا أعطيتك القدرة أن تُعلّم الناس ولم تُعلّمهم، لماذا؟!**

أنا أعطيتك القدرة أن تنفق مالًا ولم تنفق لماذا؟!

أنا أعطيتك القدرة أن تحفظ القرآن ولم تحفظ، لماذا؟! غيرك لا يستطيع الحفظ.

أنا أعطيتك القدرة أن تقوم وتصلي، أعطيتك القدرة أن تجاهد في سبيل الله، أعطيتك القدرة أن تدعو، ولم تفعل، لماذا؟!

*** ستُسأل!**

فيقول الله لسيدنا داود: أنا أعطيتك؛ فاعمل.

- وكذلك في قوله تعالى: {يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ.. يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ}(ال عمران:٤٢-٤٣) ، الاصطفاء يجب أن يكون وراءه تكليف مباشرةً، {وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ}

(طه:١٣) بعدها {فَٱسۡتَمِعۡ}، {إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ}(الأعراف:١٤٤).

دائمًا الاصطفاء بعده تكليف، والنعمة بعدها تكليف، إذا أعطاك الله – عزَّ وجل– شيئًا، فسيسألك عنه، قال الله له أنا ألنت لك الحديد، اعمل سابغات وقدِّر في السرد.

وهنا شيء عجيب جدًا، يقول الله: (أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ)(سبأ:١١) ثم ماذا؟ واعمل صالحًا؟ لا؛ بل قال: {وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ}، لماذا كان الخطاب مفردًا وأصبح جمعًا؟

- نحن نقول القرآن مُعجِز في كل حرف، لماذا القرآن كان يقول: {أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وقدر} خطاب لمفرد؛ لسيدنا داود، وفجأة قال: (وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ)(سبأ:١١)، هُناك لطيفة جميلة هُنا قالها بعض المفسرين، قالوا: كأن الله يقول لسيدنا داود: تلك الصنعة التي علَّمتها لك، علِّمها للناس من بعدك، وهم يُعلِّموها لمن بعدهم، وهكذا، وبذلك عندما يموت سيدنا داود، يصبح هناك جيل تعلمها!
- وهذه نقطة مهمة جدًا حتى في الصناعات الدنيوية أو في العلم الديني؛ أنَّه لا بد من إنشاء كوادر تحمل العلم من بعدك، الطبيب أو المهندس الذي يتعلم شيئًا، عليه أن يُعلِّم مَنْ بعده، وبعض العلماء قال إن هذا المعنى قد أشير إليه في قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ}(ال عمران:١٤٤)، فكأن الله – سبحانه وتعالى– يقول: لا بد من وجود كوادر تحمل الراية فور وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم–، ويجب أن يكونوا على أتم الاستعداد لهذا الأمر، مَن سيحمل الراية فيما بعد؟ يجب أن يكون هُناك مَن سيتحمل الأمر من بعدك.

المدير الناجح يهتم دائمًا باختيار أُناس تحته يُعلِّمهم حتى إذا غاب أو مَرِض أو مات، يكون هناك مَن يقوم بهذا العمل ولا يتوقف.

- يقول الله: {واعملوا صالحًا}، ماذا تعني صالحًا؟ من الممكن أن يستعمل الجيل الذي يليه هذه الأدوات في الفساد؛ قد يأتي جيل صالح وبعده جيل فاسد؛ لذا لا بد من وجود رقابة، لا بد من وجود أُناس يراقبون هذه الأدوات، والحديد والأسلحة؛ حتى تُستعمل لنصرة دين الله، ولا تُستعمل للفساد والاستطالة على البشر.

إذًا كل نعمة يستطيع الإنسان أن يستغلّها إما لنصرة الدين، أو للحرب على الدين!

- على سبيل المثال:

مذيع في الإعلام وهب له الله لباقة في الكلام، هذه نعمة، من الممكن أن يستغلّها لنصرة الدين، ويُعلِّم الناس دين الله، ومن الممكن أن يستغل هذه النعمة لهدم الدين.

لذلك كل نعمة وهبها الله لك فهي بمثابة بلاء واختبار لك، كيف ستقوم باستغلالها في مرضاته – سبحانه وتعالى–؟

هُناك مُعتقَد عند الناس أنَّ كل نعمة إنما هي دليل حب من الله! هذه النعمة ابتلاء! (وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ}(الاعراف :١٤١)، وكما قال الله سبحانه وتعالى– لبني إسرائيل وسيدنا موسى:{عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ}(الأعراف:١٢٩)، لماذا سيستخلف الله عزَّ وجل بني إسرائيل؟ {فينظر كيف تعملون}، **ماذا ستفعلون عند التمكين؟** أي أنَّ هذا بمثابة اختبار لهم من الله، فيقول لهم لقد تم نقلكم من الاستضعاف إلى التمكين؛ لأنكم اختُبرتم في مرحلة الاستضعاف، فماذا بعد في مرحلة التمكين؟

وبالفعل نجح بنو إسرائيل في مرحلة الاستضعاف –وقد فشل بعضهم بالطبع ولم ينجح في التمكين–.

عندما نجّاهم الله –عزَّ وجل– {وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ}(الأعراف:١٣٨)}، منذ أول لحظة بدأوا بالسقوط – والعياذ بالله– في هذا الاختبار.

فيقول الله: {وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(سبأ:١١)، هذا بالنسبة لسيدنا داود. بالنسبة لسيدنا سليمان: {وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} سخّر الله الريح لسيدنا سليمان، سوف تجد أنَّ الله عزَّ وجل ألان الحديد لسيدنا داود بعدما سبّح لله؛ التسخير جاء بعد العبادة.

وهُنا {وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ}(سبأ:١٢) يقول العلماء عندما ذبح سليمان – عليه السلام– الخيل، {فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ}(ص :٣٢-٣٣)، سيدنا سليمان كان يجلس يُسبّح عند غروب الشمس وأثناء

تسبيحه مرَّت الخيل بجمالها وشكلها الجميل؛ فانشغل بها سيدنا سليمان عن التسبيح حتى غربت الشمس، فغضب سيدنا سليمان؛ كيف تشغلني الخيل عن طاعة الله؟! {رُدُّوهَا عَلَيَّ} أي: أعيدوها إليَّ {فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ}، أبدله الله –عزَّ وجل– عندما ذبح الخيل ابتغاء وجهه؛ أبدله بالخيل الريح التي هي أسرع من الخيل، فالخيل تستغرق فترة كي تنتقل من مكان لآخر على الرغم من أنها أسرع من الجمال والبغال. فلما كان سليمان طائعًا وترك لله، أبدله الله خيرًا.

- لذا وأنت تعمل لنصرة الدين إياك أن تنشغل بالأسباب عن رب الأسباب، إياك أن تنشغل بالشغل والحركة عن تذكر الله– عزَّ وجل–

لذلك سيدنا علي بن أبي طالب في حديث رائع، عندما كان يُعلِّم الصحابة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم علَّمه أن يقول قبل النوم سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر أربعة وثلاثين[٥]. فسأله أحد التابعين قائلًا: هل تركتها قط؟ فأجاب: لا، قال التابعي: ولا يوم صِفِّين؟ – المعركة التي كانت بين الصحابة، وكانت أزمة نفسية ضخمة وفتن عظيمة– قال: ولا يوم صِفِّين.

- لم يشغله الجهاد والعمل عن قول الذكر الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه نقطة مهمة جدًا! بالحفاظ على الطاعة يُسدَّد الإنسان، وبالحفاظ على التسبيح بالنهار؛ في أول النهار وفي آخره، وبالحفاظ على قيام الليل، وبالذكر يُسدَّد الإنسان!

لذلك عندما قال الله في آخر سورة المزمل التي تتكلم عن قيام الليل: {عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ}(المزمل:٢٠)، أحدهم مريض، وآخر يشتغل في الدنيا ويسافر ليعمل {يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ}، وآخر يقاتل في سبيل الله، أنا كنت متوقعًا أنَّ بعد هؤلاء الثلاثة يقول الله: فهؤلاء معذورون من قيام الليل **لكن ماذا قال الله في الآية؟** { فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ}، قيل ما تيسر أي: في قيام الليل، أي: حتى هؤلاء الثلاثة يقيمون

[٥] - أنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ اشْتَكَتْ ما تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُتِيَ بسَبْيٍ، فأتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَذَكَرَتْ ذلكَ عَائِشَةُ له، فأتَانَا، وقدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقالَ: علَى مَكَانِكُمَا. حتَّى وجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ علَى صَدْرِي، فَقالَ: ألَا أَدُلُّكُما علَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ، إذَا أَخَذْتُما مَضَاجِعَكُما فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وثَلَاثِينَ، واحْمَدَا ثَلَاثًا وثَلَاثِينَ، وسَبِّحَا ثَلَاثًا وثَلَاثِينَ، فإنَّ ذلكَ خَيْرٌ لَكُما مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ..

الراوي: علي بن أبي طالب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٣١١٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الليل، حتى المريض والذي يشتغل في الدنيا والمقاتل في سبيل الله أيضًا يحافظ على قيام الليل، ولو حتى ما تيسر من جزء.

فنجد هُنا دائمًا أنَّ الله بعد الطاعة والبذل لدينه سبحانه في الطاعة والعبادة؛ يُسخر لك شيء صعب، لذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه أمر، ماذا يفعل لكي يُيَسر؟ فزع إلى الصلاة[٦]، **كلما تضيق الدنيا، تفزع إلى الصلاة، تطيع الله، فيُيسر الله لك هذا الأمر العسير.**

*{وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ}(سبأ:١٢)، قيل: أي أنَّ المسافة التي يقطعها الخيل في شهر، تقطعها الريح في يوم، أي كان المسافرون يقطعون المسافة ذهابًا في شهر، وإيابًا في شهر، هو في نفس اليوم يذهب ويعود صباحًا، {غُدُوُّهَا شَهۡرٞ}(سبأ:١٢)، يذهب ويعود في شهر، أي في مسافة شهر، الناس يقضون شهرين ليذهبوا ويعودوا، وسيدنا سليمان يذهب ويعود في نفس اليوم.

* فسيدنا سليمان استعمل هذه الريح في الجهاد، كان يجعل الريح تحمله، ليذهب ويستكشف الأماكن التي لا تطيع الله؛ ليجاهد وينشر دين الله سبحانه وتعالى.

{وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ}(سبأ:١٢)، ما هو القطر؟ هو النحاس.

{وَمِنَ ٱلۡجِنِّ} وسخَّر الله له أيضًا الجن. **التسخير عند سيدنا سليمان أعلى من التسخير عند سيدنا داود، وسنرى أيضًا النهاية.**

*{وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ}(سبأ١٢)، يوجد نقطة مهمة جدًا؛ الريح والنحاس من الممكن أن يُستعملوا في البناء: في البناء الحضاري، أي: يبني بيوتًا، والنحاس يُستعمل في البناء الذي فيه استقرار، الحديد يُستعمل أكثر في الجهاد وأيضًا في البناء، نجد أنَّ الله ذكر الجهاد قبل البناء، هذه نقطة مهمة جدًا. والريح فيها التنقُّل، لو لم يوجد جهاد لن يتنقل الناس بأمان أبدًا؛ لذلك الذي يترك الجهاد ويبدأ فورًا في مسألة استعمال التنقلات، وبناء وسائل

[٦] -كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ إذا حزبَهُ أمرٌ فزعَ إلى الصَّلاةِ.

الراوي: حذيفة بن اليمان | المحدث: أحمد شاكر | المصدر: عمدة التفسير | الصفحة أو الرقم: ١١٠/١ | خلاصة حكم المحدث: [أشار في المقدمة إلى صحته]

المواصلات وبناء الأبنية بالنحاس أو ليس الأبنية بل بناء الحضارة بالنحاس قبل أن يجاهد في سبيل الله؛ دائمًا يعيش في حالة من الرعب؛ لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا تركتم الجهاد وتبايعتم بالعينة وتبعتم أذناب البقر)[٧] أي: عمِلتم بالزراعة، تركتم الجهاد وانشغلتم بالزراعة فقط؛ (سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)، لاحظوا؛ كأنَّ ترك الجهاد فيه جزء كبير من ترك الدين، إذًا لهذا السبب؛ هذه نقطة مهمة جدًا في القرآن.

* كثير من السور التي نزلت في المدينة لا بد أن يأتي في منتصفها كلام عن الجهاد، ليس معنى أنكم تبنون دولة أن تنشغلوا ببناء الدولة وتتركوا الجهاد وتقولوا أنَّه ليس لديكم مُتسع من الوقت لتجاهدوا في سبيل الله، لأننا مشغولون ببناء الدولة، أبدًا!

* طالما الجهاد موجود، طالما أنَّك تحافظ على الدولة... ودائمًا الدولة المستقرة حضاريًّا هي التي تمتلك جيشًا قويًّا، كلما ضعف جيشها تعلم أنها لن تستقر أبدًا، ولن تقدر على البناء أبدًا؛ خائفة.

فلذلك هُنا رَبُّنا سبحانه وتعالى ذكر الجهاد –الحديد– أولًا، ثم النحاس، إذًا الحديد قبل النحاس، ثم ماذا؟ هؤلاء الجن ماذا يفعلون؟ {يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ}(سبأ:١٣) وهذه الجملة سنقف عندها وقفة، لكن ننتهي من تفسير الآيات، أي: معاني الكلمات الآن، ونعود للجملة المهمة {يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ}(سبأ:١٣) مَن الذي يعملون له ما يشاء؟ الجن، لمن يعملون؟ لسيدنا سليمان.

{مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ}(سبأ:١٣): طالما أنَّ الله قد أتى بتفصيل إذًا فهو شيء مهم، مثل كلمة {وقدر في السرد}(سبأ:١١)،

فيمَ استغل سيدنا سليمان تسخير الجن؟ جعلهم يعملون أربعة أشياء، محاريب، لأنَّ الله تعالى لو وهبك القدرة على إلانة الحديد، اكتشفته بعد ذلك، كأن هذه فيها إشارة أنَّه إذا كان إلانة الحديد واستعمال النحاس كان في فترة من الفترات هو تسخير من الله، فمن الممكن أن يكتشف العلم بعد ذلك كيف

[٧] - إذا تبايعتُم بالعِينةِ وأخذتم أذنابَ البقرِ ، ورضيتُم بالزرعِ ، وتركتمُ الجهادَ ، سلَّطَ اللهُ عليكم ذُلًّا لا ينزعُه حتى ترجعوا إلى دِينِكم.

الراوي: عبدالله بن عمر | المحدث: ابن تيمية | المصدر: بيان الدليل | الصفحة أو الرقم: ١٠٩ | خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح | التخريج: أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (٢٤١٧)

يُلان الحديد عن طريق الأفران والنار واستعمال النحاس وهكذا، في أي شيء سيستعمل المسلمون الحديد والنحاس؟ في أي شيء يستعملونه؟ سيدنا سليمان استعمل الجن في ماذا؟ ليبنوا: {مَحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ }(سبأ:١٣) ماذا يعني هؤلاء الأربعة؟

الأولى محاريب: جمع محراب: أماكن الطاعة، أول شيء بناه المساجد. مثل النبي -صلى الله عليه وسلم- في بداية ذهابه إلى المدينة أول شيء بناه المساجد.

- إذًا أهم شيء في بناء الدول، أول شيء يُبنى المساجد، والمحراب سُمي محرابًا وسموا هذا الموطن: محرابًا أو أماكن العبادة قديمًا ليس فقط المحراب، مكان العبادة في البيت -حتى كان في زمن بني اسرائيل يطلقون عليه محراب- قالوا لأنَّ هذا مكان حرب الشيطان، هذا المكان الذي تستطيع أن تحارب فيه الشيطان؛ لذلك سُمي محرابًا.

إذًا أول شيء أماكن العبادة.

ثاني شيء؛ تماثيل، قيل إنَّ التماثيل كانت مباحة في عهد -وهذا الذي عليه جمهور المفسرين- كانت مباحة في عهد سيدنا سليمان، لكن نسخ ذلك شرع النبي صلى الله عليه وسلم وأصبحت منسوخة، والتماثيل حُرمت في شريعتنا[٨]. وهذه التماثيل قالوا كان يستعملها.

-الاستعمال الأول-: في الجهاد؛ أنَّه كان يعمل تماثيلاً ضخمة من النحاس وهو ذاهبًا إلى الحرب؛ مخيفة على شكل أسد أو نسر أو رجال عظيمة، وبمجرد أن ينظر العدو إلى تمثال عظيم من النحاس يلمع مع شعاع الشمس، تخاف الجيوش، منظر التمثال هذا يخيفهم، أو قيل: تماثيل لأنبياء وصالحين تُذكِّرهم بالطاعة، إذًا أيضًا التماثيل، إما في العبادة والطاعة أو في الجهاد.

إذًا أصبح عندنا في العبادة: المحاريب، والتماثيل في الجهاد.

[٨] - أنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ أتى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فسلَّم عليه وفي بيتِ نبيِّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سِترٌ مُصوَّرٌ فيه تماثيلُ فقال نبيُّ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (ادخُلْ فقال: إنَّا لا ندخُلُ بيتًا فيه تماثيلُ فإنْ كُنْتَ لا بدَّ جاعلًا في بيتِك فاقطَعْ رؤوسَهم أو اقطَعْها وسائدَ واجعَلْها بُسُطًا).

الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: ٥٨٥٣ | خلاصة حكم المحدث: أخرجه في صحيحه

الجِفان كالجواب؛ جفان كالجواب: أنَّه كان -الجابية هذه مكان يُجمَّع فيه الماء؛ لأن الناس تحتاج أن تشرب- يجعل أماكن للأعمال الخيرية؛ فيجعل أماكن للماء، للذي يريد أن يشرب، مثل: "كولديرات الماء في الشارع" بل يعمل أماكن كبيرة للذي يريد أن يشرب ماء في أي وقت.

وقدور راسيات؛ راسيات أي: من شدة ثقلها لا تتحرك، أي: يأتي بقدور ضخمة، قدور كبيرة جدًا فيها طعام للذي يريد أن يأكل، توضع هكذا سبيل لمن أراد أن يشرب ومن أراد أن يأكل، سيدنا سليمان استغلَّ التسخير والنحاس في ثلاثة أمور:

١. **العبادة.**

٢. **الجهاد.**

٣. **الأعمال الخيرية.**

- مرة أخرى؛ استغلَّ هذه الطاقة بحيث أنَّ المسلمين تمكنوا من تسخير طاقتهم في ثلاثة أمور؛ بناء أماكن العبادة، أدوات الجهاد، الأعمال الخيرية. العجيب أنه أخَّر الأعمال الخيرية بعد العبادة والجهاد، وهذا لكي تصلح النية، نحن نعمل الأعمال الخيرية لنشر الدين، أي أنَّك تفعلها ليُعبد الله -عزَّ وجل- في الأرض، وتفعلها طلبًا لرضا الله، حتي لو ستطعم كافرًا أو تطعم كلبًا أنت لا تفعل هذا بدون احتساب -كما يقولون افعل الخير وألقِه في البحر-، لا؛ أنت تفعل هذا طلبًا لرضا الله عزَّ وجل.

الانشغال بالأعمال الخيرية قبل العبادة والجهاد يجعلها تفنى، تضيع، لا تعطي ثمرة؛ لأنَّك لا تملك بناء لهذا، فبدأ بأماكن العبادة ثم الجهاد ثم بالأعمال الخيرية.

الشاهد -حتى نخرج بفائدة- لو مكَّن الله للمسلمين في طاقات؛ يُسخّرون هذا في:

١. بناء المساجد ويهتمون بالعبادة، ويُعلِّمون الناس، وبناء أماكن لتحفيظ القرآن، وينفقون على هذه الأمور، هذه هي الأمور التي يُنفَق عليها.

٢. الجهاد.

٣. أعمال الخير.

- وعندما يقومون بخير، يجعلونه عامًّا، أي: يجعلون ماء عامًا للناس، الطعام يكون عامًا، هذا هو الخير الذي يؤثر في الناس، لا يكون خير محدود، وتأتي لتنفق على أسرة محتاجة إلى ألف جنيهًا فتعطيها خمسين جنيهًا، لا بد قدر الاستطاعة الخير يكون عامًا لكل الناس.

سيدنا سليمان، فعل هذه الأمور عن طريق التسخير، هل الجن وهم يقومون بهذه الأمور كانوا مقتنعين؟ كانوا مقتنعين بهذه الأعمال؟ لا، لم يكونوا مقتنعين، كانوا مُسخرين.

هذه نقطة مهمة جدًا، نريد ترسيخها اليوم.

إذًا؛ {ٱعۡمَلُواْ} أيضًا خطاب للجمع، {ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ}(سبأ:١٣).

نحن نريد أن نسأل سؤال بدأناه في بداية الدرس؛ لماذا ذُكرت هذه القصة الخاصة بسيدنا داود وسيدنا سليمان هُنا؟ بالتأكيد هذه تكون محاولات يفتح الله عزَّ وجل بها على من يشاء من عباده.

سنذكر هُنا ثلاثة أشياء:

الشيء الأول:

قُلنا من قبل إنَّ الحال العام للسورة؛ حال استضعاف، فالمسلمون فقراء ليست لديهم أي أدوات للنصر والمشركون على النقيض معهم كل الأموال والأسباب وأدوات النصر.

ولذلك في نفس السورة ستأتي آية: {وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ}(سبأ:٣٥)، فالله عزَّ وجل يقول للمسلمين بأن اطمئنوا فكما أنَّ الله عزَّ وجل أعطى داود وسليمان، فهو سبحانه قادر على أن يعطيكم هذا.

وهُناك ملمح مهم جدًا في هذه القصة –قصة داود و سليمان– وخاصةً في الآية الأخيرة: {فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ} (سبأ:١٤) فنجد هُنا معنيين مهمين جدًا:

- **معنى المُلك.**
- **معنى العلم.**

الله عزَّ وجل يملك كل شيء، والله -عزَّ وجل- يعلم الغيب ويعلم كل شيء، الله يملك الجبال، ويملك الحديد، ويملك النحاس، ويملك الجن. الله عزَّ وجل قادر على أن يأمر الجبال فتطيع الجبال، ويأمر الجن فتطيع الجن، ويأمر الريح فتطيع الريح، ويأمر الطير فيُطيع الطير، هذا هو الملك.

الشيء الثاني؛ صفة العلم.

إذًا لدينا صفتان: صفة الملك وصفة العلم. أول وثاني آية في السورة تكلمتا عن صفة الملك وصفة العلم:

الآية الأولى: {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ} أي: يملك، {لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ}(سبأ:١) ثم الآية التي تليها مباشرةً {يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا}(سبأ:٢) إذًا تكلمت عن الملك والعلم.

جاءت هذه القصة كي توّضح توضيحًا تفصيليًا أنَّ الله عزَّ وجل يملك كل شيء ويعلم كل شيء، هذه هي النقطة الأولى.

النقطة الثانية: هذا الخطاب كان مُوَّجهًا للمسلمين، أما المشركون فالله عزَّ وجل يقول لهم بأنَّ هُناك نموذجين:

- نموذج شخص أعطاه الله عزَّ وجل نِعمًا، فأطاع، فحفظها الله عزَّ وجل عليه.
- ونموذج شخص أعطاه الله عزَّ وجل نِعمًا، فكفر، فعاقبه الله عزَّ وجل.

مفهوم الشكر، فأنتم يا قريش أكثر أموالًا وأولادًا وهذا من المفترض أن يقودكم إلى أن تشكروا. لذلك الله عزَّ وجل يقول هُنا: {وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ}(سبأ:١٣)، {ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ}.

وفي الناحية المقابلة: {لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ}(سبأ:١٥) ماذا فعلوا؟ {فأعرضوا}(سبأ:١٦).

فهُنا هاتين الآيتين أو القصتين متقابلتين بين الشكر والإعراض. فنستطيع أن نخرج من هاتين الآيتين معًا بالآتي:

بين الشكر والإعراض: كان كل من سيدنا داود وسيدنا سليمان نموذجًا للشكر المبهر، وكانت سبأ نموذجًا للإعراض المدمر. {وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ}(سبأ:١٩) فبين الشكر والإعراض.

النقطة الثالثة:

لماذا هذه القصة؟

- إذًا ذكرنا النقطة الأولى أنَّ هذه القصة لسيدنا داود وسيدنا سليمان توضح مدى ملك الله عزَّ وجل ومدى علم الله عزَّ وجل وهذا مناسب لأول السورة.

- النقطة الثانية نموذج تطبيقي للشكر، وفي المقابل له نموذج تطبيقي للكفر، فبَين سبحانه الشكر والإعراض.

- النقطة الثالثة نقطة مهمة سنذكرها بعد الانتهاء من آخر آية.

{فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ}(سبأ:١٤)

سأشرح هذه الآية واذكر الدلالة الثالثة لوجود هذه القصة في سورة سبأ.

{فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ}(سبأ:١٤)، عندما قدَّر الله عزَّ وجل الموت على سيدنا سليمان، دخل سيدنا سليمان -كما يروي كثير من المفسرين- ليُصلي في بيت المقدس واستند على عصاه وبينما هو يصلي مات، ظل مستندًا على العصا وهو يصلي، بقيَ مستندًا فترات طويلة، بعضهم قال أيام، ومنهم مَن قال شهور، ومنهم مَن قال سنة، أيًّا كان.

والجن لا زالت تعمل كما هي، فقد سخَّر الله الجن لسيدنا سليمان فكان يأمرها بأعمال مختلفة، تذهب وتأتي، وتبني محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقُلنا إنَّ الجن لم تكن مقتنعة بهذا وتفعله عن رضا، بل كانت مُسخَّرة، فهذا كان عذابًا بالنسبة لها، كما قال الله في نهاية الآية: {مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ} (سبأ:١٤) كان هذا بالنسبة لهم عذابًا مهينًا.

ظل سيدنا سليمان فترة طويلة بعد أن توفاه الله مستندًا على العصا، فمتى عرفت الجن أنَّه مات؟ هم خائفون من سيدنا سليمان، يأتون وينظرون إليه فيجدونه واقفًا يصلي، فيعودون ويعملون. يصيبهم

التعب، يأتون ينظرون إليه فيجدونه لا زال واقفًا يصلي، فيعودون ويعملون؛ لأنهم يخشون إن هم توقفوا عن العمل أن يُعاقبهم سيدنا سليمان.

لذلك قال الله: {ومن يزغ منهم عن أمرنا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ}(سبأ:١٢) فسيدنا سليمان كان يضرب مَن لا يُنفّذ أوامره منهم، يقال إنَّه كان معه سَوط، ويقال إنَّ المراد أنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يعذبهم { نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ }(سبأ:١٢)، أيًّا كان، فقد كان يُعاقَب مَن لا يطيع الأوامر.

فظلوا فترة ينظرون لسيدنا سليمان، كلما نظروا إليه وجدوه مستندًا على العصا، لا يعلمون أنَّه توفاه الله، فيعودون للعمل. فمتى عرفوا بموته؟ انظر إلى قدرة الله، سخَّر الله "الأَرَضة" –دابة الأرض تأكل الأشياء– فنخرت في العصا، فعندما بدأت تنخر في العصا ووصلت لمكان معين انكسرت العصا فوقع سيدنا سليمان {فَلَمَّا خَرَّ}(سبأ:١٤)، ، خَرَّ: الخُرور انهيار القوة. وقع سيدنا سليمان على الأرض، فعرفوا أنَّه مات. هو بالفعل كان قد مات منذ زمن، ولكنهم لم يعرفوا إلا بعد أن رأوه وقع عن عصاه، فتمنوا أن لو كانوا قد عرفوا من قبل.

{فَلَمَّا خَرَّ}(سبأ:١٤) أي: سقط {تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ}(سبأ:١٤)، "تبينت الجن" تحتمل معنيين:

المعنى الأول:

قال بعض المفسرين: {تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ}(سبأ:١٤)، ، أي: ظهرت الجن على حقيقتها، وتقف عليها عند القراءة، فتقول: {تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ} ثم تقف. فمثلًا عندما تقول "تبين أحمد" ليس معناها أنك أنت من تبينت، بل معناها أنَّه قد ظهر على حقيقته. فمعنى الآية {فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ} أي: لما وقع سيدنا سليمان على الأرض ظهرت الجن على حقيقتها.

ما هي هذه الحقيقة؟ أنهم {لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ}(سبأ:١٤).

المعنى الثاني: {تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ}(سبأ:١٤)، ، أنَّه كان كبار القادة في الجن يوهمون أتباعهم بأنهم يعرفون الغيب، فعندما وقع سيدنا سليمان جاء الأتباع الصغار لكبار الجن يتساءلون كيف تقولون أنكم تعلمون الغيب، ونحن مكثنا سنة نعمل ولا نعلم ولا أنتم تعلمون شيئًا. فظهروا كذلك على حقيقتهم.

{تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ} أي: صغار الجن، {أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ} أي: كبار الجن، أن لو كان كبار الجن يعلمون الغيب {ما لبثوا في العذاب المهين}(سبأ:١٤)،

لَم هذه النهاية تحديدًا لم تأتِ إلا في هذه السورة؟ ولِمَ كلمة المنسأة وليست كلمة العصا؟ أليست تسمى بالعصا؟ لم سماها الله بالمنسأة؟ مهمة جدًا وهذه نختم بها.

المسلم العامل لدين الله عزَّ وجل في وقت الاستضعاف دائمًا يعتقد أنَّ الحل الوحيد أن يكون معه إمكانيات، فتجد داعية، مُربي، عامل، مجاهد، إذا سألته: ماذا تريد؟ يقول لك: أريد جنودًا وأتباعًا يعملون لي ما أشاء، يكونون مُسخرين، أقول لهم جاهدوا فيفعلوا ما أقول، يكتبون أعطيهم أوامر وهم يُنفّذون.

هذا حلم أي أحد يريد أن ينتشر ويريد أن ينشر الدين؛ أنَّه يريد أناس تطيع الأوامر، يعملون له ما يشاء فحسب، غير مهم أن يفهموا، غير مهم أن يكون لهم رأي، غير مهم أن يفكروا، المهم أنهم ينفذون الأوامر فحسب، يبني هذه ويفعل هذه...

أغلب الناس في وقت الاستضعاف تريد ذلك، تريد أسبابًا وتريد أموالاً تُنفِّذ بها ذلك. فيقول الله هُنا للنبي صلى الله عليه وسلم أنَّ هُناك فارق بين: الدعوة المبنية على التسخير، والدعوة المبنية على التربية، بمعنى؛ يقول الله للنبي صلى الله عليه وسلم: أنا قادر أن أُنزل لك جيشًا يطيع أوامرك في مكة وتقول لهم جاهدوا فيفعلوا،

* ثم ماذا بعد؟! وبعدما تموت ما الذي سيحدث؟ سوف ينقلبون.

- **لذلك العجيب أنَّ الله ذكر قصة سبأ بعد سيدنا سليمان، مَن الذي فتح سبأ في الأصل؟ سيدنا سليمان، فذكر الله تعالى نموذجين للارتداد: أنَّ الجن الذين كانوا مُسَخَّرين، الذين كانوا يعملون؛ انقلبوا، والبلد التي فتحها سيدنا سليمان كفرت بنعم الله سبحانه وتعالى، فيقول الله للنبي صلى الله عليه وسلم الدعوة الخاصة بك دعوة خالدة إلى يوم القيامة، لا يصلح أن تكون مبنية على التسخير؛ لذلك يجب أن تكون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مبنية على تربية الرجال والكوادر، وهذه هي التي تستمر.**

- لذلك آخر مشهد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ما هو؟ -بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم-، النبي صلى الله عليه وسلم تعب لفترة، مرض من يوم الخميس وظل في البيت – والحديث طويل في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم- فأتى يوم الاثنين صباحًا في صلاة الفجر أحسَّ بخفة ونشاط، فقام وفتح ستار البيت فوجد الصحابة يقفون صفوفًا في صلاة الفجر، فبمجرد أن رأوه همّوا أن يُفتنوا في صلاتهم، أبو بكر رضي الله عنه حاول يعود ليؤم النبيُ صلى الله عليه وسلم، فأشار إليه أن أتموا صلاتكم.

آخر مشهد؛ الصحابة واقفون صفوفًا في صلاة الفجر في جماعة، (من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله)[٩]، تركهم في ذمة الله صفوفًا، فاستمر الدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لم ينقلبوا جميعًا، **هل تفهمون الفارق؟** لو كان هذا الجيل قد تربى على التسخير أو أنَّه معتقد أنَّه يعمل في العذاب المهين، وكان يعمل في ضيق إذا كان هذا هو الحال وقتها، لكان الناس احتفلوا بمجرد موت النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم انتهوا من هذا الوضع، لكن ذلك لم يحدث بل جاهدوا ونشروا الدين، وسيدنا أبو بكر قال: والله لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم عليه. هذا فارق بين الدعوة المبنية على تربية كوادر رجال مؤمنين بهذا الدين، وبين الدعوة المبنية على التسخير أنَّك تريد أُناس يعملون لك ما تشاء، هذا النوع من الدعوات يسقط سريعًا بموت الداعية! هُناك فارق بين دعوة فيها: الجيل الذي تحت الداعية أو المربي أو العامل أو المجاهد مقتنع ومؤمن، وليس مُسَخَّرًا ويشعر أنَّه عذاب مهين، لا بل هو مؤمن هو يحب هو يبذل، عندما يموت الداعية يأتي أحدهم مكانه وأحسن منه ويبتكر، ويتتابع الذي بعده والذي وهكذا.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- نقول فارق بين الدعوات المبنية على التسخير، والدعوات المبنية على تربية رجال يؤمنون بالعمل. الصحابة تركهم النبي صلى الله عليه وسلم... وهذا نجاح، هذه آية، آية أنَّهم بعدما كانوا قلة مُستضعفة أصبح آخر مشهد، هو مشهد صفوف، آخر نظرة من النبي صلى الله عليه وسلم على الصحابة كانوا واقفين بجوار بعضهم، هذه عوامل النجاح، عوامل الاستمرار؛ أن يظلّوا صفًّا مع بعضهم في ذمة الله.

[٩] - مَن صلَّى الصُّبحَ في جماعةٍ فَهوَ في ذمَّةِ اللَّهِ فانظرْ يا ابنَ آدمَ لا يطلبنَّكَ اللَّهُ بشيءٍ مِن ذمَّتِهِ.
الراوي: [جندب بن سفيان] | المحدث: الزرقاني | المصدر: مختصر المقاصد | الصفحة أو الرقم: ١٠٤٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

لذلك عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال قال: (إن يخرج فيكم وأنا حي) أي: لو خرج الدجال والنبي صلى الله عليه وسلم موجودًا (إن يخرج فيكم وأنا حي فأنا حجيجه)[١٠] بمعنى: اتركوا أمره لي، ماذا لو خرج بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؟ (فالله خليفتي على كل مسلم).

---

[١٠] - يا أَيُّها الناسُ ! إنها لم تكن فتنةٌ على وجهِ الأرضِ ، منذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدمَ أَعْظَمَ من فتنةِ الدَّجَّالِ ، وإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لم يَبْعَثْ نبيًّا إلا حَذَّرَ أُمَّتَه الدَّجَّالَ ، وأنا آخِرُ الأنبياءِ ، وأنتم آخِرُ الأُمَمِ ، وهو خارجٌ فيكم لا مَحالةَ ، فإن يخرجْ وأنا بين أَظْهُرِكم ، فأنا حَجِيجٌ لكلِّ مسلمٍ ، وإن يخرجْ من بَعْدِي ، فكلُّ حَجِيجُ نفسِه ، واللهُ خَلِيفَتِي على كلِّ مسلمٍ ، وإنه يخرجُ من خُلَّةٍ بين الشامِ والعراقِ . فيَعِيثُ يمينًا وشمالًا ، يا عبادَ اللهِ ! أَيُّها الناسُ ! فاثْبُتوا فإني سأَصِفُه لكم صفةً لم يَصِفْها إياه قبلي نبيٌّ ، ... يقولُ : أنا ربُّكم ، ولا تَرَوْنَ ربَّكم حتى تَمُوتُوا ، وإنه أَعْوَرُ ، وإنَّ ربَّكم ليس بأَعْوَرَ ، وإنه مكتوبٌ بين عَيْنَيْهِ : كافرٌ ، يقرؤُه كلُّ مؤمنٍ ، كاتِبٌ أو غيرُ كاتِبٍ . وإنَّ من فتنتِه أنَّ معه جَنَّةً ونارًا ، فنارُه جنةٌ ، وجنتُه نارٌ ، فَمن ابتُلِيَ بنارِه فلْيَسْتَغِثْ باللهِ ، ولْيَقْرَأْ فواتِحَ الكهفِ... وإنَّ من فتنتِه أن يقولَ للأعرابيِّ : أرأيتَ إن بَعَثْتُ لك أباك وأمَّك أَتَشْهَدُ أني ربُّك ؟ فيقولُ : نعم ، فيتمثلُ له شيطانانِ في صورةِ أبيه وأمِّه ، فيقولانِ : يا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ ، فإنه ربُّك ، وإنَّ من فتنتِه أن يُسَلَّطَ على نفسٍ واحدةٍ فيَقْتُلُها ، يَنْشُرُها بالمِنْشارِ حتى تُلْقَى شِقَّتَيْنِ ، ثم يقولُ : انظُرُوا إلى عَبْدِي هذا ، فإني أَبْعَثُه ثم يَزْعُمُ أَنَّ له ربًّا غيري ، فيبعثُه اللهُ ، ويقولُ له الخبيثُ : مَن ربُّك ؟ فيقولُ : رَبِّيَ اللهُ ، وأنت عَدُوُّ اللهِ ، أنت الدَّجَّالُ ، واللهِ ما كنتُ قَطُّ أَشَدَّ بصيرةً بك مِنِّي اليومَ . وإنَّ من فتنتِه أن يأمرَ السماءَ أن تُمْطِرَ ، فتُمْطِرُ ، ويأمرَ الأرضَ أن تُنْبِتَ ، فتُنْبِتُ . وإنَّ من فتنتِه أن يَمُرَّ بالحيِّ فيُكَذِّبونه ، فلا يَبْقَى لهم سائمةٌ إلا هَلَكَت . وإنَّ من فتنتِه أن يَمُرَّ بالحيِّ ، فيُصَدِّقونه ، فيأمرُ السماءَ أن تُمْطِرَ فتُمْطِرُ ، ويأمرُ الأرضَ أن تُنْبِتَ فتُنْبِتُ ، حتى تَرُوحَ مَواشِيهِم من يومِهِم ذلك أَسْمَنَ ما كانت ، وأَعْظَمَه ، وأَمَدَّه خَواصِرَ وأَدَرَّهُ ضُروعًا . وإنه لا يَبْقَى شيءٌ من الأرضِ إلا وَطِئَه وظَهَرَ عليه ، إلا مكةَ والمدينةَ ، لا يأتيهما من نَقْبٍ من أنقابِهما إلا لَقِيَتْهُ الملائكةُ بالسيوفِ صَلْتَةً ، حتى يَنْزِلَ عند الضَّرِيبِ الأحمرِ ، عند مُنْقَطَعِ السَّبَخةِ ، فتَرْجُفُ المدينةُ بأهلِها ثلاثَ رَجَفاتٍ ، فلا يَبْقَى فيها منافقٌ ولا منافقةٌ إلا خرج إليه ، فتَنْفِي الخبيثَ منها ، كما يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحديدِ ، ويُدْعَى ذلك اليومُ يومَ الخَلَاصِ ، قيل : فأين العربُ يَوْمَئِذٍ ؟ قال : هم يَوْمَئِذٍ قليلٌ ، . . . وإمامُهم رجلٌ صالحٌ ، فبَيْنَما إمامُهم قد تَقَدَّم يُصَلِّي بهمُ الصُّبْحَ ، إذ نزل عليهم عيسى ابنُ مريمَ الصُّبْحَ ، فرجع ذلك الإمامُ يَنْكُصُ يَمْشِي القَهْقَرَى ليتقدمَ عيسى ، فيضعُ عيسى يدَه بين كَتِفَيْهِ ، ثم يقولُ له : تَقَدَّمْ فَصَلِّ ؛ فإنها لك أُقِيمَتْ ، فيُصَلِّي بهم إمامُهم ، فإذا انصرف قال عيسى : افتَحوا البابَ ، فيُفْتَحُون ووراءه الدَّجَّالُ ، معه سبعونَ ألفَ يهوديٍّ ، كلُّهم ذو سيفٍ مُحَلًّى وسَاجٍ ، فإذا نظر إليه الدَّجَّالُ ذاب كما يذوبُ المِلْحُ في الماءِ . وينطلقُ هاربًا ، ... فيُدْرِكُه عند بابِ لُدٍّ الشرقيِّ ، فيقتلُه ، فيَهْزِمُ اللهُ اليهودَ ، فلا يَبْقَى شيءٌ مِمَّا خلق اللهُ عَزَّ وجَلَّ يَتَوارَى به يهوديٌّ ، إلا أَنْطَقَ اللهُ ذلك الشيءَ ، لا حَجَرٌ ولا شجرٌ ولا حائطٌ ولا دابةٌ ، إلا الغَرْقَدَةُ ، فإنها من شَجَرِهِم لا تَنْطِقُ ، إلا قال : يا عبدَ اللهِ المسلمَ هذا يهوديٌّ فتَعَالَ اقتُلْه . فيكونُ عيسى ابنُ مريمَ في أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا ، وإمامًا مُقْسِطًا يَدُقُّ الصليبَ ، ويَذْبَحُ الخِنْزِيرَ ، ويضعُ الجِزْيَةَ ، ويتركُ الصدقةَ ، فلا يَسْعَى على شاةٍ ولا بعيرٍ ، وتُرْفَعُ الشحناءُ والتباغُضُ ، وتُنْزَعُ حُمَةُ كلِّ ذاتِ حُمَةٍ ، حتى يُدْخِلَ الوليدُ يدَه في فِيِّ الحَيَّةِ ، فلا تَضُرُّه ، وتَضُرُّ الوليدةُ الأسدَ فلا يَضُرُّها ، ويكونُ الذئبُ في الغنمِ كأنه كلبُها ، وتُمْلَأُ الأرضُ من السِّلْمِ كما يُمْلَأُ الإناءُ من الماءِ ، وتكونُ الكلمةُ واحدةً ، فلا يُعْبَدُ إلا اللهُ ، وتضعُ الحربُ أوزارَها ، وتُسْلَبُ قريشٌ مُلْكَها ، وتكونُ الأرضُ كفاثورِ الفِضَّةِ ، تُنْبِتُ نباتَها بعَهْدِ آدمَ حتى يجتمعَ النَّفَرُ على القِطْفِ من العنبِ فيُشْبِعُهم ، ويجتمعُ النَّفَرُ على الرُّمَّانةِ فتُشْبِعُهم ، ويكونُ الثَّوْرُ بكذا وكذا من المالِ ، ويكونُ الفَرَسُ بالدُّرَيْهِماتِ ، ... وإنَّ قبلَ خروجِ الدَّجَّالِ ثلاثَ سنواتٍ شِدادٍ ، يُصِيبُ الناسَ فيها جُوعٌ شديدٌ ، يأمرُ اللهُ السماءَ السنةَ الأولى أن تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِها ، ويأمرُ الأرضَ أن تَحْبِسَ ثُلُثَ نباتِها ، ثم يأمرُ السماءَ في السنةِ الثانيةِ فتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِها ، ويأمرُ الأرضَ فتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نباتِها ، ثم يأمرُ السماءَ في السنةِ الثالثةِ فتَحْبِسُ مطرَها كلَّه ، فلا تَقْطُرُ قُطْرةً ، ويأمرُ الأرضَ فتَحْبِسُ نباتَها كلَّه فلا تُنْبِتُ خضراءَ ، فلا يَبْقَى ذاتُ ظِلْفٍ إلا هَلَكَت إلا ما شاءَ اللهُ ، قيل : فما يُعِيشُ الناسَ في ذلك الزمانِ ؟ قال : التهليلُ ، والتكبيرُ ، والتحميدُ ، ويُجْزِئُ ذلك عليهم مَجْزَأَةَ الطعامِ.

الراوي: أبو أمامة الباهلي | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: ٧٨٧٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه أبو داود (٤٣٢٢) بنحوه مختصراً، وابن ماجه (٤٠٧٧) باختلاف يسير.

من الإعجاز ومن إبهار نجاح النبي صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله للنبي صلى الله عليه وسلم –وهذا يُعرّفك الدعوة الصحيحة– هو تصرف أقرب الناس للنبي صلى الله عليه وسلم؛ مَن هو أقرب شخصية للنبي؟ مَن أقرب شخصية من البشر؟ أبو بكر الصديق الأقرب من البشر؛ ثاني اثنين، معه طوال الوقت في كل شيء، ودائمًا حينما تكون أقرب شخص لأحدهم، عندما تكون أنت الأقرب لصاحبك ويحدث له شيء أنت أكثر شخص تتأثر، فكان المتوقع عندما يموت النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ أكثر شخص لا يستطيع التكلم وينهار هو سيدنا أبو بكر، تُفاجَأ أنَّ أكثر شخص كان مرتبطًا بالله هو سيدنا أبو بكر، كيف ذلك؟!

- النبي صلى الله عليه وسلم استطاع بتوفيق من الله أن يربط الناس بالله؛ لذلك سيدنا أبو بكر عندما كان يبكي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم هو وسيدنا عمر عندما ذهبوا لأم أيمن وبكت أم أيمن وهم بكوا، لماذا بكوا؟ قالوا لها يا أم أيمن لماذا تبكين، أما تعلمين أنَّ ما عند الله خير لرسوله؟ قالت: نعم ولكن أبكي على انقطاع الوحي؛ لأنهم كانوا مرتبطين بالوحي، فبكيا.

إذًا؛ القضية ليست أن تربط الناس بالشخص، إنما القضية أن تربط الناس بالوحي. القضية ليست في ربط الناس بالشخص ولكن في ربطهم بالنص، هذه هي الربانية؛ { وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ } كيف نكون ربانيين؟ { بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ }(ال عمران:٧٩) الوحي، لا أن تربطهم بشخصك، بل على النقيض، الله دربهم والنبي صلى الله عليه وسلم حي بين أظهرهم؛ عندما أُشيع مقتل النبي صلى الله عليه وسلم؛ لماذا حدث هذا؟ لكي يدربهم على موت النبي حقيقةً، إذًا أنتم تدربتم قبل ذلك وأخذتم هذا التدريب عمليًا، حيث أُشيع وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك.

- إذًا فارق بين الدعوات المبنية على مجرد إصدار الأوامر والدعوات المبنية على تربية الرجال. ومن باب الإنصاف هُناك كثير من الناس ليس لديهم طاقات، فهو محتاج أن يقول له أحدهم مباشرة تفعل كذا وكذا فحسب، لكن ليس كل الناس هكذا، فإذا كانت دعوة قائمة بأكملها على مجرد إصدار أوامر لأشخاص تقوم بتنفيذها بدون فهم ولا إيمان ولا حب ولا تفاني في العمل؛ هذه ستسقط. ومن الطبيعي كذلك من باب الأمانة أن يكون الناس على تعلق بشخص، وحينما يذهب الشخص – لم يعد موجودًا– يحدث بعض النقص، لكن ليس كل النقص.

- مرة أخرى؛ من الطبيعي أن تظل الناس متعلقة بشخص النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا أمنة لأصحابي فإذا أنا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهبت صحابتي أتى أمتي ما يوعدون)[١١]، إذًا قد حدث تأثُّر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قطعًا، لكن ليس التأثُّر الذي أدى للانهيار، فهذه نقطة مهمة.

نأتي على ذكر آخر شيء: لماذا كلمة منسأته -دابة الأرض-؟ تأكل منسأته وليس العصا مع أنَّ المنسأة هي العصا؟ قالوا إنَّ العصا تسمى منسأة عندما يستعملها الشخص كي يهُش بها أي: يؤخّر بها الغنم، ينسأ بها بمعنى يُؤخّرها ويردّها ويضبطها، فيُقدّمها أو يُؤخّرها هذه تسمى العصا، فكأن العصا هُنا هي أداة تسخير الغنم، فكأن هذه العصا بمجرد أن بدأت تتآكل -وهي أداة التسخير- بمجرد أن بدأت في التآكل انتهى التسخير.

- هذا أيضًا فارق بين الدعوات المبنية على العصا وبين الجيل الذي يتربى على الإقناع والإيمان. الدعوات المبنية على العصا: يتربى فيها جيل مُجرّد، جيل خائف، بمجرد أن يموت مَن يُخيفه يرتد، هذا الجيل ليس له أي قيمة على عكس الجيل الذي يتربى على الإقناع والإيمان: كمثال الصحابة حيث كانوا مؤمنين بهذا، كانوا مقتنعين، كانوا يبذلون، هم مَن كانوا يذهبون للنبي صلى الله عليه وسلم ويقولون: لمَ نرضى الدَنية في ديننا؟! لماذا لا تجعلنا نُقاتل؟! ونحن الذين نريد أن نقاتل {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ}(النساء:٧٧)، كانوا يطلبون القتال حتى في مكة، كانوا يريدون أن يبذلوا لينصروا دين الله عزَّ وجل، كانوا مؤمنين، عندهم إيمان بالرسالة، هو كان مؤمنًا بهذا كان يستشعر أنَّ هذه قضيته هو.

النبي صلى الله عليه وسلم حينما اغتم في مرة؛ أصابه غم يريد أن يجمع الناس للصلاة قبل تشريع الأذان، بدأ عدد المسلمين يزداد، كانوا في السابق يعتمدون على عدد قليل ينادي للصلاة، فالناس تأتي لتصلي، لكن أصبح عدد المسلمين كبيرًا في المدينة، أعداد كبيرة كثيرة، فنريد أن نجمع الناس، فجلسوا

[١١] صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لو جَلَسْنَا حتَّى نُصَلِّيَ معهُ العِشَاءَ قالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقالَ: ما زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، صَلَّيْنَا معكَ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حتَّى نُصَلِّيَ معكَ العِشَاءَ، قالَ أَحْسَنْتُمْ، أَوْ أَصَبْتُمْ قالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ، فَقالَ: النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ ما تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ..

الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٢٥٣١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

يفكرون، أحدهم قال: نصنع ناقوسًا مثل النصارى ، أحدهم قال: نفعل مثل اليهود... فالنبي صلى الله عليه وسلم نام مغمومًا يفكر، فعبد الله بن زيد يقول جزئية جميلة في الحديث، يقول: (فاغتممتُ لغمِّ رسول الله!)، نمت أنا أيضًا مغمومًا، فرأى رؤية فيها الأذان، هو الذي رأى الأذان، فذهب فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، أنا رأيت رؤية طويلة؛ أتى لي أحدهم قال: ماذا تريدون؟ قلت له: نريد جمع الناس، فقلت له: ما رأيك في الناقوس؟ فقال لي ذلك للنصارى.

- الشاهد في آخر الرؤية، علّمني هذا الرجل -تقريبًا سيدنا جبريل- علّمه الأذان؛ قال له: قل: الله أكبر الله أكبر. علّمه الأذان فأتى عبد الله بن زيد رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم التالي، قال له أنا رأيت رؤية كذا كذا، قال: هي رؤية حق ألقِهِ إلى بلال[١٢] أي: علمها لبلال فإنه أندى منك صوتًا، وتعلّم الأذان.

إذًا الأذان الذي هو تشريع من التشريعات التي يجب أن تبقى موجودة في المجتمعات الإسلامية، علامة الأذان علامة على إسلام مجتمع، كيف أتى؟ بأنَّ واحدًا من الصحابة اغتم أي: حمل الهم، هو حامل للهم، وليس كلهم ينتظر الغد ليذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لنا ماذا نفعل فنفعله وانتهى الأمر، لا.

وفي رواية أنَّه بعدما قال عبد الله بن زيد الرؤية، أتى سيدنا عمر فقال له: أنا رأيت نفس الرؤيا، وسيدنا عمر رأى كذلك الأذان فقصّه عليه قال: هي رؤيا حق لكن كان سبقه عبد الله بن زيد.

- **إذًا كانوا يحملون هذا الهم، هذا هو الجيل الذي ينشر الدين، ليسوا في حالة انتظار لحين شهود حركة من هم الإمام، ماذا سيفعل الشيخ؟ ونحن سنكتفي بذلك، ولا تدخُّل لنا، لا؛ بل يقول الله في سورة**

---

[١٢] لَمَّا أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بالنَّاقُوسِ يُضرَبُ به للنَّاسِ للجَمْعِ في الصَّلاةِ، أَطافَ بي وأنا نائِمٌ رَجُلٌ معه ناقُوسٌ، فقلتُ: يا عبدَ اللهِ، أَتَبِيعُ النَّاقوسَ؟ قال: فقال: ما تَصنَعُ به؟ فقلتُ: لِجَمْعِ النَّاسِ إلى الصَّلاةِ. قال: فقال: ألا أَدُلُّكَ على خيرٍ مِن ذلكَ؟ فقلتُ: بلى، قال: تقولُ: اللهُ أَكبرُ اللهُ أَكبرُ، اللهُ أَكبرُ اللهُ أَكبرُ، أَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، أَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، أَشهَدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، أَشهَدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، حَيَّ على الصَّلاةِ، حَيَّ على الصَّلاةِ، حَيَّ على الفَلاحِ، حَيَّ على الفَلاحِ، اللهُ أَكبرُ اللهُ أَكبرُ، لا إلهَ إلَّا اللهُ. قال: ثُمَّ استأْخَرَ عنِّي غيرَ بَعيدٍ، فقالَ: تَقولُ إذا أُقيمَتِ الصَّلاةُ: اللهُ أَكبرُ اللهُ أَكبرُ، أَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، أَشهَدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، حَيَّ على الصَّلاةِ، حَيَّ على الفَلاحِ، قدْ قامَتِ الصَّلاةُ، قدْ قامَتِ الصَّلاةُ، اللهُ أَكبرُ اللهُ أَكبرُ، لا إلهَ إلَّا اللهُ. قال: فلمَّا استيقَظْتُ أَتَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأَخبَرْتُهُ بما رأيتُ، فقال: إنَّها لَرُؤيا حَقٍّ إنْ شاءَ اللهُ، فقُمْ مع بِلالٍ فألْقِها عليه فلْيُؤَذِّنْ بها؛ فإنَّه أَنْدَى صوتًا مِنكَ. قال: فقُمْتُ مع بِلالٍ، فجَعَلَ يُؤَذِّنُ وأُلْقي عليهِ. قال: فسَمِعَ بذلكَ عُمرُ بنُ الخَطَّابِ وهو في بيتِهِ، فخَرَجَ يَجُرُّ رِداءَهُ، فقال: والَّذي بَعَثَكَ بالحقِّ، لقدْ رأيْتُ مِثْلَ ما أُرِيَ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ : فللَّهِ الحمدُ..

الراوي: عبدالله بن زيد | المحدث: ابن حجر العسقلاني | المصدر: موافقة الخبر الخبر | الصفحة أو الرقم: ٢٥٤/١ | خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح

يس –وهذه ستأتي إن شاء الله بعد سورة فاطر–: {وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ،}(يس:٢٠) هذا الرجل أتى وكان عنده ثلاثة رسل! {إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ}(يس:١٤)، كان عنده ثلاثة رسل، وهو أتى من مكان بعيد، لم يقل انتهى الأمر هناك ثلاثة وأنا سأذهب بلا عمل، أنا لا داعي لوجودي، عندما يطلب مني الثلاثة رسل أن أنزل سأنزل، عندما يقولون لي تكلم سأتكلم، عندما يقولون اقعد سأقعد، هذا لا يصح! الدين لا ينتشر أبدًا هكذا، كل أحد مسؤول، أنت عندك فكرة لا أمتلكها، وفلان عنده فكرة ليست عندنا، والرابع الذي هُناك عنده فكرة ليست عند كل هذا التجمع، وكل الناس تحمل همًّا، يجب أن يحمل الجميع همّ نصرة الدين، يكون حاملًا للهم، لا يأخذ التكليف لنصرة الدين وهو متضجرًا ولسان حاله متى نتخلص من الذي يوّجه لنا هذه التكليفات وتنتهي!

مثل الجن: {أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ}(سبأ:١٤)، تخيَّل أنَّه معتقد أنَّ نصرة الدين عذاب مهين؛ لأنَّه يشتغل بفكرة التسخير وليس التربية، لذلك الدعوات التي تستمر بعد موت الداعية هي الدعوات التي قامت على التربية، ليست بالتسخير، الدعوات التي قامت على الإيمان ليس بالعصا، هذه الدعوات ليست بالمنسأة، أنَّه يقدَّم ويؤخَّر بالعصا، هذه الدعوات التي تستمر.

فرَبُّنا سبحانه وتعالى يقول لنا في سورة سبأ: ليست القضية أنهم يمتلكون أموالًا فيكون معكم أموالًا مثلهم، وليس هذا هو الحل، وأسباب الحل في وجود جيل من الصحابة يؤمن بهذا القرآن ويؤمن بالوحي ويحمل الرسالة وينشر الدين فينتشر الدين في الأرض.

أسأل الله عزَّ وجل أن يستعملنا ولا يستبدلنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.